اليهود في فرنسا

كتب الينا شاب سوري من نزلاء استراليا يسألنا عن سبب ما يلقاهُ اليهود احياناً في بلاد فرنسا من الكراهة واتفق اننا قرأنا مقالة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية بقلم رجل يدل اسمهُ على انهُ من كتَّاب اليهود فنخلصنا منها السطور التالية . قال الكاتب ان من يزور فرنسا الآن يرَ فيها لاول وهلة امرين يصعب التوفيق بينهما الاول الكراهة لليهود التي يجاهَر بها على المنابر وفي نحو نصف الجرائد والثاني قلة عدد اليهود الذين يلتقي بهم حتى لا يكاد يجد احداً منهم في غير باريس وبعض المدن الصناعية الكبيرة . وعدد اليهود الذين في فرنسا قليل جداً بالنسبة الى عدد اخوانهم في انكلترا واميركا فلا يزيد في كل بلاد فرنسا على ثمانين الفاً مع انها اول مملكة ساوت اليهود ببقية شعبها في الحقوق المدنية فيصعب على المرء ان يعرف اسباب هذه الكراهة ومقدار انتشارها وقد حاولت ايضاح ذلك في السطور التالية

ثم بيَّن الكاتب ان نيوليون الاول كان يهتم بامر اليهود شديد الاهتمام ويحاول مزجهم ببقية الشعب الفرنسوي وجعلت الحكومة الفرنسوية تدفع الرواتب الى حاخاميهم كما تدفع الى قسوس المسيحيين وباحت لهم الانتظام في سلك الجندية والارتقاء في مناصبها. ولما قام ما كولي في انكلترا يطالب من الحكومة الانكليزية ان تبيح لليهود ما تحظرهُ عليهم كان اليهود في فرنسا ضباطاً في الجيش الفرنسوي وقضاة في محاكم فرنسا ونواباً في مجلس النواب . وكانوا قد امتزجوا بالفرنسويين حتى نسي كثيرون منهم انهم من اليهود وصاروا يحسبون انفسهم فرنسويين مثل غيرهم من سكان فرنسا ولم يخطر على بال احد ان الحال تنقلب كما انقلبت الآن

وسنة ١٨٨٦ ألَّف المسيو ادوار دريمون كتاباً سماهُ فرنسا اليهودية (لا فرانس جويف) طعن فيهِ على كثيرين من اصحاب المقامات فاقبل الجمهور على مطالعتهِ وتبعتهُ كتب اخرى على شاكلتهِ . وسنة ١٨٩١ انشئت جريدة القول الحر (لبر باروك) بقصد الوقيعة في اليهود وكان المسيو دريمون في رئاسة تحريرها ومن ثمَّ جعل النواب المعادون لهم يدخلون مجلس النواب ويجاهرون بعدائهم واسباب ذلك دينية وسياسية واجتماعية

اما الاسباب الدينية فنشأت من قيام اناس مثل غمتا وجول فري و بول بر ومقاومتهم لخدمة الدين الكاثوليكي ومن مقاومة الحكومة لبعض الطغمات الدينية ولا سيما طغمة الجزويت

التي نفيت من فرنسا بمساعي بعض الجرائد الجمهورية التي يحررها اليهود . فلا يستغرب اجتهاد الجزويت للاخذ بالثار منهم وسعيهم غيرهم من خدمة الدين في تحويل كراهة الشعب عنهم الى غيرهم

واما الاسباب السياسية فمدارها على انضمام اكثر اليهود الى حزب الايورتنسب فلما ضعف شأن هذا الحزب ضعف شأنهم معهُ وزد على ذلك ان كثيرين منهم كانوا من انصار الجنرال بولانجه ثم صاروا اول من خذلهُ فاشتدَّ حنق الجمهور عليهم ولاسيما حنق رشفور الذي كان صديقاً حميماً لبولانجه

والاسباب الاجتماعية اقوى من الدينية والسياسية وهي انفراد اليهود بفتهم واساليب معيشتهم وهي غير ضائرة ما دام الناس في رخاء واما اذا وقعت بهم الشدَّة ورأوا ان من يخالفهم في طرق المعيشة لم يشاركهم في الضرَّاء عادوا عليهِ باللائمة وحوَّلوا سهام انتقامهم اليهِ ولذلك تواكل ما فعلهُ الشركاء المسيحيون في مسألة بناما وصبوا جامات غضبهم على رياخ وهرتز وارتون لا سيما وان الجرائد الاكليريكية والبولنجية كانت تساعدهم على ذلك

ثم قال وبديهي ان امَّة مثل الامة الفرنسوية أُعدَّت لان تصدِّق كل ما يقال ضدَّ اليهود لا تكذِّب مَن يقول لها مثلاً ان دريفوس خائن ولاسيما لان الفرنسويين يكرمون جيشهم اكراماً عظيماً لانهُ حامي حمى الوطن والوطنية ديانة فرنسا الحقيقية ولا جريمة عندهم اقبح من جريمة من يخون وطنهُ . ولا يستطيع فرنسوي مخلص ان يرتاب في قول قواد الجيش الذي يرقى شأن الوطن . فالجريمة التي نسبت الى دريفوس تكفي لان تحمل الفرنسويين كلهم على الارتياب في اخلاص اليهود . ثم لما جاءت الفرنمة في دعوى دريفوس اغتنمها الحزب المضاد لهم فرصة يشتدُّ بها وتقوى عزيمتهُ

هذا اصل الحزب الفرنسوي المضاد لليهود . ومن رأي الكاتب ان جمهور الفرنسويين الذين من الطبقة الوسطى والعليا صار الآن يرتاب فيهم او يكرههم واما المتعلمون المتهذبون فلا يزالون يكرمونهم ويجلونهم . والحزب المضاد لهم لا يعرَّف في المدارس الجامعة وليس لهُ شأن يذكر في الجيش ولا بين عامة الشعب الذين هم الجمهور الاكبر ولا شيء يمنعهم الآن من الدخول في مناصب الحكومة ولو كان ارتقاؤهم فيها ليس بالامر السهل كما كان اولاً . ولما كانت هذه المضادَّة لهم غير مبنية على اسس راسخة فستزول رويداً رويداً لا سيما وان الامة الفرنسوية امة عظيمة حكيمة عُرف من امرها انها لا تصرُّ على خطاء اذا عرفتهُ